٩

الهيمنة الذكورية في الشعر الجاهلي المجال الحربي انموذجاً

شيماء مهدي صالح سليمان

الأستاذ الدكتور توفيق إبراهيم صالح

جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

sheymaamh@gmail.com

المستخلص

وعند المحاولة للكشف عن تاريخ الهيمنة الذكورية ومجرياتها في عصر ما قبل الإسلام يجب الالتفات الى اهم ما يميز العصر وتعد الحرب اهم دعائم العيش والدفاع عن العرض المتمثل بالمرأة حيث كشفت الحرب عن صعوبة الحياة في العصر الجاهلي ومدى حاجة العصر للرجل الذي فرض بدوره هيمنته على المرأة بسبب هذه الحاجة وكون المرأة غير قادرة على العيش دون حماية الرجل لها ومساندته ايّاها فقد أصبحت الحرب سبيل لأثبات الرجل هيمنته الذكورية وتمريرها وتسويغها لتصبح نظام اجتماعي متبع .

Abstract :

When trying to uncover the history of male domination and its course in the pre-Islamic era, one must pay attention to the most important characteristic of the era. War is considered the most important pillar of living and defending the honor represented by women The war revealed the difficulty of life in the pre-Islamic era and the extent of the era's need for the man, who in turn imposed his dominance over women because of This need, and the fact that women are unable to live without men protecting and supporting them, war has become a way for men to prove their masculine dominance, pass it on, and justify it to become an followed social system .

المقدمة

تعد الحرب في العصر الجاهلي من اهم المجالات التي ابرزت دور الرجل وبينت هيمنته الذكورية من خلال خوض غمار الحرب وإبراز شجاعة الرجل وبسالته في ساحات الوغى مقابل دور المرأة الضعيف والمحدود بسبب اقتصار دور المرأة على البكاء والعويل وادوار ثانوية أخرى تعتبر مساندة للرجل في الحرب كمساعدة الجرحى وغيرها من الأدوار لذا انطلقت دراستنا للكشف عن أدوار كل من الرجل والمرأة في تحقيق الهيمنة الذكورية وتمريرها ودسها في الانساق الثقافية الجاهلية من خلال الشعر .

المجال الحربي

لقد شغلت الحرب مساحة واسعة في الشعر الجاهلي ؛ لأن الحرب الميدان الذي يظهر الشعراء فيه شجاعتهم ؛ لأنها ((أُمدّت الشعراء بمعين لا ينضب ، وهيأت لهم مجالاً واسعاً لاظهار مواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ومختلف اتجاهاتها))[1] ، هذه الحروب والمناوشات التي كثرت حتى عجز المؤرخون عن حصرها ، هذا ما أكده ابن الأثير وأشار اليه بقوله : ((ونحن لم نذكر الأيّامَ المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمعٍ كثير وقتال شديد ، ولم اعّرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير ، لأنّه يكثر ويخرج عن الحصر))[2] ، وهذا يكشف عن طبيعة الحياة الحربية في العصر الجاهلي القائمة على الغزوات والغارات لتأمين القوت وإيجاد أماكن صالحة للعيش ، وهذا ما جعل الرجل القائد والمحارب والفارس الذي عُدَّ من حماتها والمدافعين عن وجودها ضد الأعداء .

وقد شاع هذا النسق الاجتماعي الذي يمجد الرّجل اجتماعياً والذي يحمل في طياته المضمرة تهميشاً للمرأة وسلباً لحقوقها في إدارة الحياة الخصبة ، وقد تبدّى هذا التهميش حين شبهت الحرب بالمرأة العجوز في بشاعة وضيم نتائجها ، وقد استثني الرجل من مخاللة المرأة حين وصفت بأنّها " غير ذات خليل " ، ليدلّ هذا الاستثناء على الهيمنة الذكورية الواضحة التي مارسها الجاهلي على المرأة ، بوصفه بطل الحرب الذي يخوض غمارها ، ويتحمل ويلاتها قتلاً وهزيمة ، هذه الصورة البشعة للحرب الآيلة الى امرأة تشمئز منها النفس صورها امرؤ القيس قائلاً[3] :

الحربُ أَولُ ما تـكون فتيةً تَسْعَى بزينِتها لكلِّ جَهولِ

حتى إذا اسْتَعَرَت وشَب ضِرامُها عَادَتْ عجوزاً غيرِ ذاتِ خَلِيلِ

شمْطاءَ جَزَّتْ رأْسَها وتنـكَّرتْ مَكرُوهةً للشَّـمِّ والتقـبيلِ

إنّ وصف المرأة بهذه الصفات التي تنافي صفات الجمال الانثوي التي وضعها المجتمع الجاهلي تكشف عن النظرة الدونية للمرأة التي وصفت بالمخادعة والإغراء لمن هو جاهل لطبيعتها المراوغة ولا سيما في شبابها .

من هنا كان اهتمام الشعراء منصبًّا على الرجل محاربًا لامتلاكه القوة المناسبة التي تتطلبها الحروب ، والتي يعجز الرجال احياناً عن تحمل ويلاتها ، فهذا المتلمس الضبعيّ يجعل الحرب

تقضّ مضاجع الرجال وتعضهم بانيابها ، وهو بهذا الوصف إنّما يدلّ بنسقه المضمر عن عجز المرأة في مجارات الرجال في هذا المضمار اذ يقول[4] :

أَبْلِغْ ضُبَيْعَةَ ؛ كهَلْهَا ووَلِيدَهَا والحَرْبُ تَنْبُو بالرِّجالِ وتَضْرس

ولقد حاول الشعراء ومنهم عنترة بن شداد من خلال الفخر بخوض الحروب فرض انساقهم المضمرة الهادفة الى إشاعة الهيمنة الذكورية . على أساس الموازنة بين القدرة البدنية المتفاوتة بين الجنسين على خوض غمار الحرب ونتائجها المتوقعة التي كشف بنسقه المضمر عنها بالسلاسل والقيود ، وغبار الخيل التي خصّ بها الرجال وجعلها من دواعي فخره ، وقصر دور المرأة على ارتداء البخانق والعقود كناية عن الزينة ، اذ قال[5] :

فَخْرُ الرِّجَالِ سَلاَسِلٌ وَقُيُودُ وَكَذا النِّسَاءُ بَخَانِقٌ وَعُقُودُ

وَإِذَا غُبَارُ الخَيْلِ مَدَّ رُوَاقَهُ ، سُكْرِي بِهِ لاَ مَا جَنَى العُنْقُودُ

لقد فخر عنترة بكونه محارباً من خلال مواجهته للسلاسل والقيود التي يقابلها حُلي المرأة ؛ لأنها لا تجيد فن الحرب ، فالحرب حكر على الرجال دون النساء ؛ وقُصر دروها على الاهتمام بجمالها .

وانطلاقاً من هذا الحال ، وإدراكاً من ايمان الرجل بدوره في الحرب لتأمين حياة المرأة راح يرسم حالها إذا ما شاءات الاقدار فقدها له ليثبت هيمنته في لاوعيها خاطب فضالة بن هند الغَاضريّ أمّ نمير قائلاً[6]:

يَا وَيْحَ أُمِّ نُمَيْرٍ بَعْدَ فَارِسِهَا إذا الفَوارِسُ تَحْمِي عَوْرَةَ الظُّعُنِ

وفي سبيل بسط الهيمنة الذكورية على المرأة في مجال الحرب ومنحها فرصة مشاركة هامشية قصر زيد الخيل دورها على السؤال مضخماً دور الرجل في الحرب فهو المحارب اذ قال مفتخراً[7] :

رَأَتْني كأَشْـــلاءِ اللِّجـــامِ ولـــن تَرى أخا الحربِ إلاّ ساهمَ الوجْهِ أَغْبرا

أَخو الحرب إن عضّتْ به الحرب عضَّها إن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شمّرا

فلا تَسْـــأليني واسْألي : أيُّ فـــارسٍ إذا الخيلُ جالت في قناً قد تكسَّرا

فقد قصر الشاعر دور المرأة في السؤال عن فروسيته ، فأجابها مفتخراً بشجاعته واصفاً بسالته ومواجهته الحرب دون خوف او قلق على مصيره ، وما هذه الإجابة المستندة الى القوة والعنف النفسي المنفّر من مشهد الحرب إلا ليعجز المرأة عن التفكير بالمساواة إنْ راودتها الفكرة في ذلك ؛ لأنه ابتداء مارس هيمنته الفكرية عليها حين حدد مجال سؤالها وحصره في الحرب ؛ لعلمه المسبق بعدم قدرتها على مجاراته في هذا الميدان ، فالرجل هو ابن الحرب البارُّ المُسْعِرُ لنيرانها ، وقد أعلن عامر بن الطفيل هذه البنوة حين قال مفتخراً[8] :

لَقَدْ تَعْلَمُ الحَرْبُ أنّي ابْنُها أنّي الهُمامُ بِها المُعْلِـــمُ

وأنّي أحُلّ عَلى رَهْـــوَةٍ منَ المَجدِ في الشرَفِ الأعظَمِ

وأَنّي أُشَمِّصُ بالدّارِعِيــ نَ في ثَوْرَةِ الرَّهَـجِ الأقْتَـمِ

وأَنّي أكُــرّ إذا أحْـجَمُوا بــأكْرَمَ مِنْ عَطفَةِ الضْيغمِ

أضرِبُ بالسيفِ يَوْمَ الوَغَى أقُــدّ بهِ حَلَقَ المُبْـــــرَمِ

لقد كان الجاهليّ متفنناً في بسط هيمنته على المرأة من خلال معرفة مقاتل المرأة واستغلالها استغلالاً ذكياً يجبر المرأة على التسليم له بذلك ؛ لعلمها أنّ الحرب كانت من عوامل قلق المجتمع الجاهلي التي اختص الرجال بمهمة مواجهتها ، وهذا ما جعل الجاهليين يعلنون تلك الهيمنة المستندة الى تلك الميزة القائمة على القوة في صورة ((التغني بالبطولة ، والشهامة ، وكثرة الحروب ، وشن الغارات ، والنصر والغلبة ، والقوة ، والبأس ، والعدد ، والخيل ، والإبل ، والسلاح ، وإثارة الفزع في نفوس الأعداء ، ومنازلة الملوك والرؤساء ، وكثرة الغنائم ، والأسرى والسبايا))[9] ، وكل هذه الصفات يمتلكها الشاعر الرجل المهيمن .

ولم يكتف الجاهلي بإشعار المرأة باقتصار الحرب على الرجال دون النساء في سبيل بسط هيمنته بل مارس اقصى أساليب التخويف النفسي لأخضاعها لهيمنته حين جعلها ضحية الحروب بفقدها مَنْ يعيلها من الرجال فتكون عندئذ مهانة ، بهذه الرؤيا افتخر عامر بن الطفيل ، وحاول فرض هيمنته من خلال الحرب التي قتل فيها رجال العدو، اذ قال[10] :

تَرَكْتُ نِساءَ ساعدَةَ بنِ مُرّة لَهُنّ لَدَى مزَاحِفِهِ عَويلُ

جَمَعْتُ لهُ يدَيّ بذي كُعُوبٍ يُقَدِّمُ نَصْلَةٌ أظْمَى طَويلُ

شَكَكْتُ بهِ مَجامِعَ رُحْبَيَيْهِ فَصارَ رِداؤهُ مِنْهُ طَمِيل

هكذا رسم الشاعر صورته رجلاً فهو المهيمن في ساحة الحرب ، ورسم كذلك صورة المرأة ودورها في الحرب امرأة باكية سلاحها الصياح والعويل على القتيل حيث قتل (مزاحفه) ، فهو دور ضعيف بالمقارنة مع دور الرجل الفاعل والمحرك لمجريات الحرب حيث حصر دورها في الدائرة التي يريد أنْ يرسمها هو لها ، فكان ((اذا حدثت الحرب فإنها تخرج _ في بعض الاحايين _ الى ميادين القتال ، لتثير همم الرجال ، وتحرضهم على الاستماتة وتنشدهم الأناشيد الحماسية وتهيء لهم النبال وتضمد الجرحى وتسقي الماء))[11] ، وعلى الرغم من أهمية هذا الدور يبقى دوراً مسانداً للرجل المتفاني في الدفاع عنها اولاً وحسب ، مما يوجب عليها الإقرار له بفروسيته وهيمنته عليها طواعية .

إنّ وضع المرأة في دائرة الخطر الذي يهددها بكل اشكاله يعدّ من مسوغات هيمنة الرجل عليها فهو مَنْ يَردّ عنها ذلك الخطر ، واعتقاد المرأة بذلك هو ما عزز هيمنته من خلال تحديد دورها في منحى سلبي مقتصر على النواح بسبب قلة الحيلة وعدم وجود سبل أخرى لفرض شخصيتها ، كما يقول الشاعر عمرو بن أُهبان[12] :

عَلَى مِثْلِ هَمَّامٍ تَشُقُّ جُيوبَها وتُعلِنُ بالنَّوْحِ النّساءُ الفَوَاقِدُ

إذا نَازَعَ القَوْمَ الأَحادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيِيًّا ولا عِبْئاً على مَنْ يُقَاعِدُ

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ يُصْبِحُ بَطْنُهُ خَمِيصاً وجَادِيهِ على الزَّادِ حَامِدُ

يمرر هذا الشعر هيمنة الرجل من خلال عجز المرأة عن ممارسة الحرب واكتفائها بالنواح وشق الجيوب على القتيل ، وإقرار مثل هذا الوصف يسوغ للهيمنة الذكورية .

ويحاول الرجل عامداً اسناد مهمة البكاء والنواح وشقّ الجيوب الى المرأة حتى اصبح الأمر نوعاً من طقوس الرثاء عند المرأة بغية فرض هيمنته بطريقة سلسلة ، ولاسيما حتى يعرضها على المرأة بشكل عاطفي من خلال دسّها في صورة وصية ، ومن تلك الوصايا وصية طرفة بن العبد ابنة أخيه بالحزن عليه ، وإعلان موته وشقّ جيبها عليه ، اذ قال[13] :

فإنْ مُتُّ فانْعِيني بما أنا أَهْلُهُ وشُقّي عليّ الجَيْبَ يا ابنَةَ مَعْبَدِ

لقد أوصى الشاعر المرأة بذكر خصاله الحميدة والبكاء والنواح عليه عند موته ، واذا علمنا وجوب الالتزام الوصية سنتيقن بقصدية قصر دور المرأة في العويل والبكاء بوصفها تابعاً له ، تفرض تبعيتها له هيمنته عليها . وهذا ما سوغ الهيمنة الذكورية على المرأة التي اقرت للرجل بها في مجال الحرب ، كون الانثى رقيقة القلب لا تقدر على المواجهة والقتال في ساحات الحرب ومشاهدة مناظر الدماء وزهق الأرواح ، وكان على الضدّ منها الرجل المهيمن القوي الذي يتحمل كل ظروف الحرب ومشاهدها البشعة ، وهو يقاتل مع رجال قومه وهم ((يستبسلون في القتال حتى لا ينكسروا فتسبى نساؤهم ، قال عمرو بن كلثوم في معلقته : إنهم يستبسلون مخافة أن تسبى نساؤهم الحسان ، وإن النساء انفسهن يحرضن الرجال على الاستبسال ، واي تحريض اعمق في نفس الرجل اثراً وابعد مدى من أن تقول زوجه له : لست زوجي إن لم تحمني))[14] ، حيث يقول عمرو بن كلثوم في معلقته[15] :

على آثَارِنا بِيضٌ حِسَانٌ نُحاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ او تهُونَا

يَقُتْنَ جِيَادَنا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذا لم تَمْنَعُونا

فكان احد أسباب استبسال الفرسان هو الحفاظ على نسائهم من السبي ؛ لأنه عار لا يسكت عنه ، وآمنت المرأة أنّ الرجل هو مصدر امانها وحمايتها من الأعداء ، وهذا ما شجعه على اعلان هيمنته الذكورية ومنح المرأة وظيفة جديدة هي التوثيب وسياسة خيل الفرسان في سوح الوغى ، وما رفع الحرج عنه في إعلان حمايته لها بطلب منها في سياق اختبار فروسيته ، وذلك ما كانت النفس تواقة اليه في سبيل اثبات ذكوريته وفحولته وفروسيته للمرأة ، واقناعها بأهمية الإقرار بهيمنته الذكورية التي لا مناص لها منه وقد كشف عنترة بن شداد العبسيّ عن هذه الهيمنة ، وروح التعالي عند الرجل الذي عدّ الحرب المجال الصادق في اختيار المرأة لصلاحية زوجها في قدرته على حمايتها ، اذ قال[16] :

الْيَوْمَ تَبْلُو كُلُّ أُنْثَى بَعْلَها فَالْيَوْمَ يَحْمِيها وَيَحْمي رَحْلَها

إِنَّما تَلْقى النُّفوسُ سُبْلَها إِنَّ المنايا مُدْرِكاتٌ أَهْلَها

وَخَيْرُ آجالِ النُّفوسِ قَتْلُها

ولتعزيز هذه الهيمنة في نفس المرأة قدم لها عنترة الدليل على صحة ما يذهب اليه ، فهذه ضبّة عندما هرب رجالها في حربها مع عبس كانت نساؤهم سبايا عند رجال عبس ، اذ قال[17] :

فَخَلَّوْا لَنا عوذَ النِّساءِ وَحَبَّبُوا عَبادِيدَ مِنْها مُسْتَقِيمٌ وجامحُ

وَكُلَّ كَعابٍ خَدْلَةِ السَّاقِ فَخْمَةٍ لها مَنْصِبٌ في آلِ ضَبَّةَ طامِحُ

ولتعميم هذه الرؤيا في الوصاية على المرأة والحفاظ عليها يقدم الشعراء صوراً عن تخاذل الرجال في توفير الحماية للمرأة لتكون نتيجته إهانة المرأة بيد أنهم يستدركون أنْ واجبهم يوجب عليهم تقديم الصورة التي تليق بالرجل والصورة التي تليق بكرامة المرأة ؛ لذلك انتصروا لرجولتهم ولاستمرار هيمنتهم ثاروا موتورين لكرامتهم المهدورة كما يقول معاوية بن مالك السُلمي وقد قتل دثار بن وهب[18] :

لما رأيتُ نِساءَ قومي حُسراً وتَرتْ إليَّ النفسُ غيرَ مُزاحِ

أَقدمتُ حتى لم أجد مُتَقَدِّماً وعلمتُ أَن اليومَ يومُ فِضاحِ

إني ثأرتُ أخي فلم أُسْبَق به وشَفَيْتُ نفسي من بني الطَّمَّاحِ

ويشارك طرفة بن العبد معاوية المعنى نفسه فيكون قومه السّباقين في الانتصار لقتلاهم ، الانتصار بالوفاء لوعودهم بحماية النساء لتستمر تلك الهيمنة الذكورية وبقناعة المرأة المطلقة بوجوب استمرارها ، وصدق الرجال بالالتزام بها ، ومن هنا كانت صورة النساء / العذارى المذعورة الخائفة وقد انخزلت وتوالت هاربة كأنّها قطيع بقر مذعور دليلاً على حاجة المرأة الى تلك الحماية ، اذ قال[19]

تَبِيتُ إماءُ الحَيِّ تَطْهي قُدورَنا وَيَأوي إِلَيْنا الأَشْعَثُ المُتَجرِّفُ

وَنَحْنُ إِذا مَا الخَيْلُ زايَلَ بَيْنَها مِنَ الطَّعْنِ نَشَّاجٌ مُخِلٌّ ومُزْعِفُ

وَجالَتْ عَذارَى الحَيِّ شَتى كأَنَّها تَوَالي صُوَارٍ والأَسِنَّةُ تَرْعُفُ

ولم يَحْمِ فَرجَ الحيِّ إلاَّ ابنُ حُرَّةٍ وَعَمَّ الدُّعاءَ المُرْهَقُ المُتَلَهِّفُ

فَفِئْنا غَداة الغبّ كـــــلَّ نقيذة ومنّا الكمــيُّ الصابرُ المتعرِّفُ

وتوكيداً لهذه الرؤيا وبهذه المعادلة وتحقيقاً للهيمنة الذكورية ، وتصديقاً لفكرة حماية الرجل للمرأة كشف الاعشى عن حال النساء عندما اخفق الرجل في حمايتها والدفاع عنها فقد ساءت حالتها فأصبحن كالسعالي في تردي الحال وسوء المنظر ، والشاعر إنما هدف بهذا التصوير المؤلم للنساء تأكيد أهمية دور الرجل في حمايتها ، واقناعها بوجوب الامتثال لهيمنته ، والا كان واقع حالها كما يصف قائلاً[20] :

وَشَيُوخٍ حَرْبَى بشَطئ أرِيكٍ وَنِساءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي

فقد اصبحن من شدة الخوف والذلة والضّر الذي وصلن له كالسعالي في قبح المنظر وسوء المآل ، وربما تعَدّى الأمر هذا الوصف الى وقوع النساء سبايا بأيدي الأعداء ، وربما زاد الشعراء اوصافاً اكثر أيلاماً لمسامع المرأة ليخلقوا عندئذ من الرجل البطل الأسطوري الخارق الحامي المدافع عنها ليعزز من دوره في حياتها الوجودية والعاطفية كمقاتل تكون هيمنته عليها حقّاً مكتسبًا بما يقدّمه من تضحيات في سبيلها.

وفي الوقت نفسه يزرع الشعراء الخوف الداهم الدائم في نفس المرأة بكونها هدف الرجال في الحرب من اجل السبيّ لتستمر تلك الهيمنة ، على أنْ اشهار الهدف من القتال احياناً تكون غايته السبيّ لتكون القدرة عند المحارب على منعه احد أسباب فخره امام عدوّه ، واثباتا لقدرته على حماية المرأة التي يجب عليها الاعتراف بذلك ؛ لتكون هيمنته عليها بعدئذ شرعية ، وإلّا فإن العدو سيجعل من تلك النساء / سبايا ولرجاله الحق في أنْ ((يتزوجوا السبايا بغير صداق ، ويستولدونهن))[21] ومن هنا كانت النساء حذرات خائفات من سبي مفاجئ يعرضهن لأنواع الظلم والإهانة ، وادراكاً منهن لهذه الخطورة المحدقة بهن منحن الرجال قيادتهن حتى اصابتهم الخيلاء امام نسائهم ؛ فراحوا يتبخترون بطاء المشي عندهن ، وفي ذلك يقول الأفوه الأودي[22] :

نُقاتِل أقواماً فنسْبِي نساءَهم ولم يَر ذو عزٍّ لِنسوتنا حِجْلا

نقود ونأبى أن نُقَاد ولا نرى لقوم علينا في مُكارمَهم فضلا

وإنا بِطاء المشي عند نسائنا كما قَيَّدتْ بالصّيف نجْديّةٌ بُزْلا

نظل غَيارَى عند كل ستيرةٍ نُقلّب جيداً واضحاً وشَوى عبْلا

لذلك ضل السبي من اكثر العادات كراهة في العصر الجاهلي ، بسبب غيرة الجاهليين على نسائهم ، ورغم ذلك فهم يحاولون سبي نساء العدو مثلما يحاول عدوهم فعل ذلك فهو سلوك متبادل ضحيته المرأة التي يحاول الجميع اقناعها بأهمية حماية الرجل لها واخضاعها امتثالاً ، ويكشف عن هذه الرؤيا الحصين بن الحمام المريّ إذ يقول[23] :

وَلا غَرْوَ إلاّ حين جاءَت مُحاربٌ إلينا بأَلفٍ حادرٍ قد تَكتّبا

مَوالي موالينا لِيسبوا نساءَنا أَثعلَبَ قِد جِئْتُم بنكراءَ ثعلبا

وَقُلت لهم يا آل ذُبيانَ مالكُم تفاقدتُمُ ولم تذهبوا العامَ مذهبا

تداعي إلى شرِّ الفِعال سَراتُها فَأَصبح موضوعٌ بِذلِك مُلتَبا

فهو يستنكر فعلتهم ويصفها بالنكراء لأن غايتهم من الحرب هي سبي النساء ، ومآل هذا الفعل سلبية على القوم الذين تسبى نساؤهم لأنهم يُعيرون بعجزهم عن ذراريهم ، فواجب الفارس هو الحماية بحسب اشعارهم التي تعبر عن تاريخ عصر ما قبل الإسلام ، وكان إقرار المرأة له بحمايتها تسويغاً لاستمرار هيمنته التي مُرّرَتْ من جيل الى آخر دون وعي منها بذلك ؛ لذلك كان الرجل يخاطب المرأة في شعره ويشهدها على حسن بلائه ومحامده وكلَّه ثقة بإيمانها بما يقول ، كما فعل عبد يغوث حين قال[24] :

وقد علمت عِرْسي مُلَيْكَةُ أنني أنا الليث مَعْدُوًّا عَلَيْ وعاديا

وقد كنت نحار الجزور ومُعْمِل الـ مطيِّ وامضي حيث لا حيَّ ماضيا

وانحر للشَّرب الكرام مطيتي واصدع بين القينتين ردائيا

وكنت اذا ما الخيل شمَّصها القْنَا لبيقاً بتصريف القناة بنانيا

وقد بلغ بهم الخيلاء مبلغاً عظيماً امام نسائهم دعاهم في مطاف الأمر الى إعلان هيمنتهم عليهن بشكل تعسفيّ واضح في فخرهم بمآثرهم البطولية ، إنْ تفاوت شدّته ، فهذا عامر بن

الطفيل يهدد زوجته بالطلاق وفســـخ العقد الذي بينهما اذا لم تســـألْ مَنْ هو وتقدر بطولته في الحرب بخطاب ذكوريّ مهيمن ، اذ قال[25] :

طُلّقْتِ إنْ لم تَسألي أي فارِسٍ حَليلُكِ إذْ لاقَى صُـــداءً وخثْعَمَا

أكُرّ عَلَيْهِمْ دَعْلَجاً ولَبَانُهُ إذا ما اشتكَى وَقعَ الرّماحِ تحَمحَمَا

إن ابياته هذه وإنْ كانت تعبيراً مجازياً فهي تعكس قلق الحياة الاجتماعية إنْ هي لم توافقه في رؤيته لشجاعته ولم تعترف بفروسيته ، ولم توافقه على هيمنته وسيطرته في المجال الحربي ، وظل مثل هذا الخطاب الذكوري الموجه للمرأة يتردد على الســنة الشــعراء مهيمناً على اشــعارهم وعلى نسائهم ومنه خطاب حاجِب بن ذُبيان المازني عندما قُتِل تميم اليشكري ، اذ قال[26] :

سَلِي يَشْكُراً عني وأَبناءَ وائل لهازِمَها طُرّاً وجَمْعَ الأَراقِمِ

أَلَم تَعلمي أَنّا إذا الحربُ شمَّرتْ سُمامٌ على أعدائِنا في الحَلاقِمِ

عُتاةُ قُراةٌ في الشتاء مَساعِرٌ حُماةٌ كماةٌ كالليوثِ الضَّراغِمِ

بأيديهم سُمْرٌ من الخَطِّ لَدْنَةٌ وميضٌ تَجَلى عن فراخِ الجَماجِمِ

أولئكَ قومٌ إن فخرْتُ بعِزّهِمْ فخْرتُ بعزٍ في اللَّهَى والغَلاصِمِ

هُمُ أَنزلوا يوم السُّلَيَّ عزيزَها بسُمْرِ العَوالي والسيوفِ الصوارمِ

ولم يكتف الشــعراء بما ســلف ذكره بل حاولوا مصــادرة المرأة حقها العاطفي في التعبير عن حزنها لمن تفقد من ذويها من الرجال في الحروب بكاءً او تضـــجراً حينما نفوا عنها طبيعتها الأنثوية وعاطفتها الجياشة ، فكان خطابهم التوجيهي أنَّ نساءهم لا تنوح على هالك او تضجّ من قتل ؛ وما ذلك إلّا لأنهم ارادوها كذلك ، وفي مثل هذا يقول عمرو بن كلثوم[27] :

مَعَاذَ الإله أَنْ تَنُوحَ نساؤنا عَلَى هَالِك أَوْ أَنْ تَضِجَّ مِنَ القَتْلِ

قِرَاعُ السُّيُوفِ بالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِي آراكٍ وذِي أَثْلِ

المصادر والمراجع

[1]) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، الدكتور علي الجندي ، مكتبة الجامعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦م ، بيروت : ٦٧.

[2]) الكامل في التاريخ ، حققه الدكتور عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتب العربي ، ٢٠١٢م ، بيروت _ لبنان :٤٥٤/١.

[3]) ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، ط ٥ ، د . ت ، القاهرة : ٣٥٣ .

[4]) ديوان المتلمس الضبعي رواية الابرم وابي عبيدة الاصمعي ، عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، د . ط ، د . ت : ٢١٥ .

[5]) شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م ، بيروت : ٥٦ . البخانق : هو جمع البخنق ، وهو قناع يغشى عنق المرأة وصدرها ، الرواق ، مقدم الشيء ، جنى العنقود : الخمر .

[6]) ديوان بني اسد اشعار الجاهليين والمخضرمين ، جمع وتحقيق ودراسة محمد علي دقةّ ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، بيروت : ١٢٣/٢ .

[7]) شعر زيد الخيل الطائي ، صنعه الدكتور احمد مختار البزرة ، دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ _ ١٩٩٨م : ١٠٨ .

[8]) ديوان عامر بن الطفيل رواية ابي بكر بن القاسم الانباري عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب ، دار الصادر ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م ، بيروت : ١١٩ _ ١٢٠ . المعلم : الفارس الذي يعلم فرسه في الحرب بأن يضع له علامة ، صوفاً ملوناً ، اشمص بالدرعين : الباء زائدة ، وشمص الرجل : ضربه وآذاه واقلقه ، ثورة : هيجان ، الرهج : ما اثير من الغبار ، حلق المبرم : أراد حلق الدرع المحكم صنعه .

[9]) في تاريخ الادب الجاهلي ، د. علي الجندي ، مكتبة دار لتراث ، ط ١ ، ١٤١٢هـ _ ١٩٩١م : ٣٦٤/١

[10]) ديوان عامر بن الطفيل : ١٠٠ . ذو الكعوب : الرمح ، اظمى : أي رمح اظمى ، ذابل في سمرة ، الرحبيان : الضلعان تليان الابط في اعلى الاضلاع ، طميل : لعله من قولهم : سهم طميل أي ملطوخ بالدم .

[11]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، الدكتور يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤٠٧هـ _١٩٨٦م ، بيروت : ٧٢ .

[12]) ديوان بني اسد اشعار الجاهليين والمخضرمين : ١٨٧/٢_١٨٨ .

[13]) ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق دكتور علي الجندي ، دار الفكر العربي ، د . ط ، د . ت : ٦٢ . انعيني : اشيعي خبر وفاتي ، بما انا اهله : أي اذكريني بما انا اهله ومشهور به من الأفعال الحميدة ، والخصال الكريمة ، وشقّ علي الجيب : أي القميص كله .

[14]) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د . احمد محمد الحوفي ،مطبعة نهضة مصر ، ط ٢ ، د . ت : ١٥٥

[15]) ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشرحه الدكتور اميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤١١هـ _ ١٩٩١م ، بيروت : ٨٦_٨٧ . يقتن : يطعمن ، تمنعونا : تمنعونا من سبي الأعداء إيّانا .

[16]) شرح ديوان عنترة : ١١٥

[17]) شرح ديوان عنترة : ٤٧ .

[18]) ديوان شعر الأيام ، جمع ودراسة وتحقيق ، الدكتور عفيف عبدالرحمن ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، بيروت : ٤٠١ .

[19]) ديوان طرفة بن العبد شرح الاعلم الشمنتري ، تحقيق درية الخطيب ولطفي صقال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، ٢٠٠٠م ، بيروت : ١٣٧ _ ١٣٨ .

[20]) ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس بن جندل ، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، ط ١ ، ٢٠١٠م : ١٢٤/١ . أريك : موضع في ديار غنىّ به يَعْصُر ، بلاد ذبيان ، وهما اريكان : أريك الأسود ، واريك الأبيض ، والاريك : الجبل الصغير .

[21]) المرأة في الشعر الجاهلي ، الدكتور احمد محمد الحوفي ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، د . ت : ٤٦٤ .

[22]) ديوان الافوه الاودي ، شرح وتحقيق الدكتور محمد التونجي ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، بيروت : ١٠٠ _١٠١

[23]) ديوان الحصين بن الحمام المريّ ، جمع وتحقيق شريف علاوانة ، دار المناهج ، د . ط ، ٢٠٠٢م ، عمان _ الأردن : ٦٩ . لاعدو : لا عجب ، حادر : غاضب ، تكتّب : صار كتيبة ، واصل الكتيبة الاجتماع ، ثعلب : أراد ثعلبة بن سعد ، تفاقدتم : دعا عليهم بالموت ، أن يفقد بعضهم بعضاً ، موضوع : اسم مكان ، ملتب : اللاتب ، الثاب .

[24]) شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الاموي (سنة ١٣٢هـ) _ جمعاً وتحقيقاً ودراسة _ القسم الثاني (المستدرك من شعر مذحج) _ المجلد الثاني _ تأليف محمد بن عبدالله منور آل مبارك _ منشورات نادي جازان الادبي _ الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠م : ٥٥٩ _ ٥٦٠ .

[25]) ديوان عامر بن الطفيل : ١٣٤ . صداء وخثعم : حيان . دعلج : فرس آخر للشاعر . لبانه : صدره . تحمحم : ردد صوته من الألم .

[26]) ديوان شعر الأيام : ٢٥٣ . اللهازم : أحياء من بكر ، الأراقم : قوم مهلهل من بني تغلب . السمام : الخفيف السريع ، الحلاقم : جمع حلقوم وهو الحلق . فراخ الجماجم : الفرخ : مقدم الدماغ . اللهي : جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة من الحلق ، الغلاصم : جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق . السلي : يوم من أيام تميم .

[27]) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ، تحقيق ايمن ميدان : ٢٩٧ . تنوح نساؤنا : أي يجتمعن للحزن والبكاء . والهالك : من أصيب بمكروه فأودى به . وضج الناس : إذا صاحوا مستغيثين ، و " تضج " في هذه الرواية عائد الى " نساؤنا " .